

أندريه جيد

وأندريه جيد من أولئك الذين رفعوا راية العصيان وثاروا على مادية القرن التاسع عشر ، فاندفع عام ١٩٣٥ إلى اعتناق الشيوعية ولعل مدافع به إلى اعتناق الشيوعية هو إشفاقه على القيم الحضارية في الغرب أن تحيد وتنمحي فلم يجد بداً من التوجه إلى آفاق جديدة على أنه ما لبث قليلاً حتى عاد إلى رشده فكفر بالشيوعية ونارها ودماها .

ومن الأسباب التي دفعته أيضاً إلى اعتناق الشيوعية هو إيمانه بالحرية الفردية وبالعدالة والمساواة وقد رأى الشيوعية تنادى بتحقيق هذه المبادئ الإنسانية الرفيعة على أوسع نطاق عرفه التاريخ فأثار هذا حماسه للشيوعيين .

ولكن عندما زار أندريه جيد روسيا وقد امتلأت نفسه أملاً وطار به خياله إلى تلك الجمهورية المثالية أو « المدينة الفاضلة » التي استطاع فيها الإنسان أن يحقق مشيئة الآلهة .

وانغمس وسط جموع العمال هناك وراح يفرك عينيه غير مصدق ما يرى . لقد رأى الكثيرين هناك يعيشون في بؤس وشقاء لا مثيل له في العالم المتحضر . كما رأى أندريه جيد الإنسان وقد استحال إلى آلة صماء .

وأندريه جيد بوصفه فناناً حراً فقد أثار سخطه القيود المفروضة على الفن في روسيا ، فكان يعتقد « أن الفن نفسه هو الحرية فحين لا تكون حرية لا يكون فنا والقيمة الحقيقية للفنان إنما هي في قدرته على الثورة والمعارضة

وخير ما أختتم به هذه المقالة قطعة كتبها أندريه جيد على لسان فتاة عاشقة تطلب من ربها أن يعيد لها حبيبها الغائب . « رب إنك تعرف حق المعرفة أنني في حاجة إليه لأحبك ! يا إلهي ، هبني إياه أهبك قلبي .

يا إلهي ، دعني أراه فقط . يا إلهي أعاهدك أن أعطيك قلبي فأجب هواي إلى طلبته ولن أهب إلا لك ما تبقى من حياتي .

يا إلهي ، غفرانك لهذه الصلاة الدليلة فما أملك أن أجنب اسمه شفق ولا أن أسلو آلام قلبي . أجنب اسمي شفق ولا أن أسلو آلام قلبي . يا إلهي أني إليك أفزع فلا تعرض عني في محنتي » .

فيصل صالح مطوع

في العشرين من فبراير من العام الحالي توفي عميد الكتاب الفرنسيين « أندريه جيد Andre Jide » وكان قد أصيب بنوبة قلبية قبل وفاته بعشرة أيام أعقبها إلتها ب رثوى وضعف شامل حتى فاضت روحه إلى بارئها وكان إلى جانبه ابنته « كاترين » وزوجها الكاتب الشاب « جان لأمير » .

وقد ولد أندريه جيد في نوفمبر سنة ١٨٦٩ بباريس وتلقى تعليمه في المدرسة الإلزامية بها وكان تلميذاً بليداً للغاية وقد امتاز بالحصول على الصفر كل أسبوع ، وفي هذا يقول أندريه جيد « لقد كنت في سبات عميق كأنني لم أكن ولدت بعد ، لقد كنت أبله ونصف نائم » .

وكان أندريه جيد شخصية مزدوجة ويرجع ذلك الازدواج العجيب والتناقض المدهش في شخصية « جيد » إلى الوراثة . فقد كان أبوه « بروتستانتياً » من جنوب فرنسا وكانت أمه « كاثوليكية » من الشمال ولا يوجد أكثر من هذين الذهين تبايناً .

وقد أغناه ثراؤه عن الاشتغال بأي عمل من الأعمال فتفرغ للأدب واستمتع بحرية فردية تامة . وله عدة كتب أدبية رائعة منها « أوديب » وقد ترجمه إلى العربية الدكتور طه حسين ، والباب الضيق ترجمه الأستاذ نزيه الحكيم ، ومدرسة النساء للدكتور صبرى فهمي . ومن كتبه الأدبية الرائعة التي لم تترجم بعد الأغذية الأرضية « السينفونية — الريفية » ثم اليوميات التي تعد أعظم ما كتبه وفيها خلاصة فكره وأدبه وفلسفته وقوته في التعبير وبراعته في الأسلوب ، وقد ترجم أندريه جيد عن شكسبير وبوشكين وطاغور وغيرهم من أعلام الأدب .

ومنحته جامعة أكسفورد في يونيو سنة ١٩٤٧ الدكتوراه الفخرية في الآداب وكان هذا أول تقدير أدبي له رغم أنه كان في ذلك الحين قد بلغ الثامنة والسبعين من عمره وفي نهاية تلك السنة حاز أندريه جيد جائزة نوبل العالمية للآداب .

وكان أندريه جيد كاتباً حراً ولقد نصب نفسه محامياً عن المظلومين من الناس وفي زيارته « للكونغرس الفرنسي » عام سنة ١٩٢٥ انتقد سوء الإدارة فيه انتقاداً شديداً ونعى على البيض اضطهادهم للزنج الوطينين حتى اضطر الحكومة الفرنسية إلى تأليف لجنة للتحقيق في هذه التهم .